فصل

فى قدوم وفد تُجيب

وقدم عليه ﷺ وفد تجيب، وهم من السَّكُون ثلاثة عشر رجلا، قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التى فرض الله عليهم، فَسُرَّ رسول الله ﷺ بهم، وأكرم منزلهم، وقالوا: يا رسول الله، سقنا إليك حق الله فى أموالنا، فقال رسول الله ﷺ: «رُدُّوها، فاقسموها على فقرائكم»، قالوا: يا رسول الله، ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا، فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما وفد من العرب بمثل ما وفد به هذا الحى من تجيب، فقال رسول الله ﷺ: «إن الهُدَى بيد الله عز وجل، فمن أراد به خيرا شرح صدره للإيمان»، وسألوا رسول الله ﷺ أشياء، فكتب لهم بها، وجعلوا يسألونه[1] عن القرآن والسنن، فازداد رسول الله ﷺ بهم رغبة، وأمر بلالا أن يحسن ضيافتهم، فأقاموا أياما، ولم يطيلوا اللبث[2].

فقيل لهم: ما يعجلكم؟ فقالوا: نرجع إلى من وراءنا، فنخبرهم برؤيتنا رسول الله ﷺ، وكلامنا[3] إياه وما رد علينا، ثم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ يودعونه، فأرسل إليهم بلالا، فأجازهم بأرفع ما كان يجيز[4] به الوفود، قال: «هل بقى منكم أحد؟» قالوا: غلام خلفناه على رحالنا هو أحدثنا سنا، قال: «أرسلوه إلينا».

فلما رجعوا إلى رحالهم قالوا للغلام: انطلق إلى رسول الله ﷺ فاقض حاجتك منه، فإنا قد قضينا حوائجنا منه، وودعناه، فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله ﷺ

---

(١) فى خ: «يسألون»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.
(٢) فى خ: «ولم يطلبوا»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.
(٣) فى خ: «فكلامنا»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.
(٤) فى خ: «ما كان المير»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

فقال : يا رسول الله، إنى امرؤ من بنى أَبْذَى، يقول : من الرهط الذين أتوك آنفا، فقضيت حوائجهم، فاقض حاجتى يا رسول الله، قال : «وما حاجتك؟» قال : إن حاجتى ليست كحاجة أصحابى، وإن كانوا قدموا راغبين فى الإسلام، وساقوا ما ساقوا من صدقاتهم، وإنى والله ما أعْمَلَنى[١] من بلادى إلا أن تسأل الله عز وجل أن يغفر لى، ويرحمنى، وأن يجعل غناى فى قلبى، فقال رسول الله ﷺ وأقبل إلى الغلام: «اللهم اغفر له، وارحمه، واجعل غناه فى قلبه»، ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه، فانطلقوا راجعين إلى أهليهم .

ثم وافوا رسول الله ﷺ فى الموسم بمنى سنة عشر، فقالوا : نحن بنو أبذى[٢]، فقال رسول الله ﷺ : «ما فعل الغلام الذى أتانى معكم؟» قالوا : يا رسول الله، ما رأينا مثله قط، ولا حُدِّثنا بأقنع منه بما رزقه الله لو أن الناس اقتسموا[٣] الدنيا ما نظر نحوها، ولا التفت إليها، فقال رسول الله ﷺ : «الحمد لله، إنى لأرجو أن يموت جميعا»، فقال رجل منهم : أو ليس يموت الرجل جميعا يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ : «تَشَعَّبُ أهواؤه، وهمومه فى أودية الدنيا، فلعل أجَلَه أن يدركه فى بعض تلك الأودية، فلا يبالى الله عز وجل فى أيها هَلَكَ»، قالوا : فعاش ذلك الغلام فينا على أفضل حال، وأزهده فى الدنيا، وأقنعه بما رزق .

فلما توفى رسول الله ﷺ ورجع من رجع من أهل اليمن عن الإسلام قام فى قومه، فذكرهم الله والإسلام، فلم يرجع منهم أحد، وجعل أبو بكر الصديق يذكره ويسأل عنه، حتى بلغه حاله، وما قام به، فكتب إلى زياد بن لبيد يوصيه به خيرا[٤] .

---

(١) فى خ : «أعلمنى» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٢) فى هـ : «بذى»، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك .
(٣) فى خ : «اتقسموا»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٤٤، ٢٤٥) .

فصل

فى قدوم وفد بنى سعد[١] هُذَيْم من قُضَاعة

قال الواقدى : عن أبى النعمان، عن أبيه من بنى سعد هذيم : قدمت على رسول الله ﷺ وافدا فى نفر من قومى، وقد أوطأ رسول الله ﷺ البلاد غلبة، وأداخ العرب، والناس صنفان : إما داخل فى الإسلام راغب فيه، وإما خائف من السيف، فنزلنا ناحية من المدينة، ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا إلى بابه، فنجد رسول الله ﷺ يصلى على جنازة فى المسجد فقمنا ناحية، ولم ندخل مع الناس فى صلاتهم حتى نلقى رسول الله ﷺ، ونبايعه .

ثم انصرف رسول الله ﷺ، فنظر إلينا، فدعا بنا، فقال : «من أنتم؟» فقلنا : من بنى سعد هذيم، فقال : «أمسلمون أنتم؟» قلنا[٢] : نعم، قال : «فهلا صليتم على أخيكم؟» قلنا: يا رسول الله، ظننا أن ذلك لا يجوز لنا حتى نبايعك، فقال رسول الله ﷺ: «أينما أسلمتم، فأنتم مسلمون»، قال : فأسلمنا، وبايعنا رسول الله ﷺ على الإسلام .

ثم انصرفنا إلى رحالنا قد خلفنا عليها أصغرنا، فبعث رسول الله ﷺ فى طلبنا، فأتى بنا إليه، فتقدم صاحبنا إليه، فبايعه على الإسلام، فقلنا : يا رسول الله، إنه أصغرنا، وإنه خادمنا، فقال : «أَصْغَر القوم خادمُهم، بارك الله عليه»، قال : فكان والله خيرنا، وأقرأنا للقرآن لدعاء رسول الله ﷺ له، ثم أمَّرَه رسول الله ﷺ علينا، فكان يؤمنا، ولما أردنا الانصراف أمر بلالا، فأجازنا بأواق من فضة لكل رجل منا، فرجعنا إلى قومنا، فرزقهم الله الإسلام[٣] .

---

(١) فى هـ : «شعر»، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك .
(٢) فى خ : «قالوا» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٤٩) .

فصل

فى قدوم وفد بنى فَزَارَة

قال أبو الربيع بن سالم فى كتاب الاكتفاء : ولما رجع رسول الله ﷺ من تبوك قدم عليه وفد بنى فزارة بضعة عشر رجلا، فيهم خارجة بن حصن، والحُرُّ[١] بن قيس ابن أخى عيينة بن حصن، وهو أصغرهم، فنزلوا فى دار [رملة][٢] بنت الحارث، وجاؤوا رسول الله ﷺ مقرين بالإسلام، وهم مُسْنِتُون على ركاب عِجَاف[٣]، فسألهم رسول الله ﷺ عن بلادهم، فقال أحدهم : يا رسول الله، أَسْنَتَتْ بلادنا، وهلكت مواشينا، وأجدب جنابنا، وغَرِثَ[٤] عيالنا، فادع لنا ربك يغيثنا، واشفع لنا إلى ربك، وليشفع لنا ربك إليك .

فقال رسول الله ﷺ : «سبحان الله! وَيْلَك، هذا إنما شَفَعْتُ إلى ربى عز وجل، فمن الذى يشفع ربنا إليه؟ لا إله إلا هو العظيم، وسع كرسيه السموات والأرض، فهى تَئِطُّ من عظمته وجلاله كما يئط الرَّحْل[٥] الجديد»، وقال رسول الله ﷺ : «إن الله عز وجل ليضحك من شَغَفِكُم، وأزْلِكم، وقُرْب غِيَاثكم»، فقال الأعرابى : يا رسول الله، ويضحك ربنا عز وجل؟ قال : «نعم»، فقال الأعرابى : لن نَعْدَم من ربٍّ يَضْحَك خيرا .

فضحك النبى ﷺ من قوله، وصعد المنبر، فتكلم بكلمات وكان لا يرفع يديه فى

---

(١) فى ق، هـ : «الحسن» ، وما أثبتناه من خ، ك.
(٢) ليست فى ق ، ك ، هـ ، وما أثبتناه من خ .
(٣) مُسنِتون : أى مُجْدِبون، أصابهم القَحْط والجَدْب . وعِجاف أى: هزال ضعيف .
(٤) غَرِث : أى جاع .
(٥) فى هـ : «الرجل»، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك .

شيء من الدعاء إلا رفع الاستسقاء، فرفع يديه حتى رؤى بياض إبطيه، وكان مما حفظ من دعائه : «اللهم اسْقِ بلادك، وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحْيِ بَلَدك الميت، اللهم اسقنا غيثا مُغيثا مَريئا [1] مَرِيعا طَبَقًا واسعا، عاجلا غير آجل، نافعا غير ضار، اللهم سُقْيَا رحمة لا سقيا عذاب، ولا هَدْم، ولا غَرَق، ولا مَحْق، اللهم اسقنا الغيث، وانصرنا على الأعداء» [2].

(١) في خ : «سريعا»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٢) الحاكم في المستدرك (١ / ٣٢٧)، وقال : «صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الكبرى في الاستسقاء (٣ / ٣٥٥)، والطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٢٦، ٢٢٧) . والمَرِيع : المُخْصِب الناجِع . وطَبَقًا : أي مالئا للأرض مُغطِّيا لها .

فصل

فى قدوم وفد بنى أسَد

وقدم عليه ﷺ وفد بنى أسد عشرة رهط، فيهم وَابِصَة بن معبد، وطلحة بن خُوَيْلد، ورسول الله ﷺ جالس فى المسجد مع أصحابه، فتكلموا، وتكلموا، فقال متكلمهم : يا رسول الله، إنا شهدنا أن الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله، وجئناك يا رسول الله، ولم تبعث إليا بعثا ونحن لمن وراءنا .

قال محمد بن كعب القرظى : فأنزل الله على رسوله : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات] .

وكان مما سألوا رسول الله ﷺ عنه يومئذ العِيَافة، والكهانة وضرب الحصى، فنهاهم عن ذلك كله، فقالوا : يا رسول الله، إن هذه أمور كنا نفعلها فى الجاهلية، أرأيتَ خصلة بقيت؟ قال : «وما هى؟» قالوا[1] : الخَطُّ، قال : «عُلِّمَهُ نبى من الأنبياء، فمن صادف مثل عِلْمِه عَلِمَ»[2].

---

(١) فى هـ : «قال»، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٢٣)، وانظر : سبل الهدى والرشاد (٦ / ٤٠٤) .

قلت : لا يُفهم من قول النبى ﷺ إباحةُ ذلك؛ لأن جواز ذلك إنما يتم إذا عُلم أن هذا موافق لعلم النبى، ولا سبيل إلى معرفة ذلك، ولذلك عدّ العلماء ذلك هذا الصنيع من الحرام المنهى عنه .

فصل

فى قدوم وفد بَهْرَاء

ذكر الواقدى، عن كريمة بنت المقداد قالت : سمعت أمى ضُبَاعة بنت الزبير ابن عبد المطلب تقول : قدم وفد بهراء من اليمن على رسول الله ﷺ، وهم ثلاثة عشر رجلا، فأقبلوا يقودون رواحلهم حتى انتهوا إلى باب المقداد، ونحن فى منازلنا ببنى حُدَيْلة، فخرج إليهم المقداد، فرحب بهم، فأنزلهم، وجاءهم بجَفْنَة من حَيْس قد كنا هيأناها قبل أن يحلوا لنجلس عليها، فحملها المقداد، وكان كريما على الطعام، فأكلوا منها حتى نهلوا، ورُدَّتْ إلينا القصعة وفيها أكل، فجمعنا تلك الأكل فى قصعة صغيرة، ثم بعثنا بها إلى رسول الله ﷺ مع سِدْرة مولاتى، فوجدته فى بيت أم سلمة، فقال رسول الله ﷺ : «ضُباعة أرسلت بهذا؟» قالت سدرة : نعم يا رسول الله، قال : «ضعى»، ثم قال : «ما فَعَلَ ضيفُ أبى معبد؟» قلت : عندنا . فأصاب منها رسول الله ﷺ أكلا هو ومن معه فى البيت، حتى نهلوا، وأكلت معهم سدرة، ثم قال : «اذهبى بما بقى إلى ضيفكم» .

قالت سدرة : فرجعت بما بقى فى القصعة إلى مولاتى، قالت : فأكل منها الضيف ما أقاموا نرددها عليهم، وما تَغِيض[1]، حتى جعل القوم يقولون : يا أبا معبد، إنك لتنهلنا من أحب الطعام إلينا ما كنا نقدر على مثل هذا إلا فى الحين، وقد ذكر لنا أن ببلادكم الطعام إنما هو العُلَقَة[2] أو نحوه، ونحن عندك فى الشبع!

فأخبرهم أبو معبد بخبر رسول الله ﷺ، أنه أكل منها أكلا وردها، فهذه بركة

---

(١) تَغِيض : أى تنقص .

(٢) فى هـ : «العلق»، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك .

أصابع رسول الله ﷺ، فجعل القوم يقولون : نشهد أنه رسول الله، وازدادوا يقينا، وذلك الذى أراد رسول الله ﷺ، فتعلموا الفرائض، وأقاموا أياما، ثم جاؤوا رسول الله ﷺ يودعونه، وأمر لهم بجوائزهم، وانصرفوا إلى أهليهم[١].

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٥٠).

فصل

فى قدوم وفد عُذْرَة

وقدم على رسول الله ﷺ وفد عذرة فى صفر سنة تسع، اثنا عشر رجلا، فيهم جمرة بن النعمان، فقال رسول الله ﷺ : «مَنِ القومُ؟» فقال متكلمهم : من لا تنكره، نحن بنو عذرة، إخوة قصى لأمه، نحن الذين عضدوا قُصَيًّا، وأزاحوا من بطن مكة خُزاعة، وبنى بكر، ولنا قرابات، وأرحام، قال رسول الله ﷺ : «مرحبا بكم وأهلا، ما أعْرَفَنى بكم»، فأسلموا، وبشرهم رسول الله ﷺ بفتح الشام، وهرب هرقل إلى ممتنع من بلاده، ونهاهم رسول الله ﷺ عن سؤال الكاهنة، وعن الذبائح التى كانوا يذبحونها، وأخبرهم أن ليس عليهم إلا الأضحية، فأقاموا أياما بدار رَمْلَة، ثم انصرفوا، وقد أُجِيزوا[1].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٥٠).

فصل

فى قدوم وفد بَلِيٍّ

وقدم عليه وفد بلى فى ربيع الأول من سنة تسع، فأنزلهم رُوَيْفِع بن ثابت البَلَوِىّ عنده، وقدم بهم على رسول الله ﷺ، وقال : هؤلاء قومى، فقال له رسول الله ﷺ : «مرحبا بك وبقومك»، فأسلموا، وقال لهم رسول الله ﷺ : «الحمد لله الذى هداكم للإسلام، فكل من مات على غير الإسلام، فهو فى النار» .

وقال له أبو الضُّبَيْب شيخ الوفد : يا رسول الله، إنى لى[(١)] رغبة فى الضيافة، فهل لى فى ذلك أجر؟ قال : «نعم، وكل معروف صنعته إلى غَنِىٍّ أو فقير، فهو صدقة»، قال : يا رسول الله، ما وقت الضيافة؟ قال : «ثلاثة أيام، فما كان بعد ذلك فصدقة، ولا يحل للضيف أن يقيم عندك، فيُحْرِجك»، قال : يا رسول الله، أرأيت الضَّالَّة من الغنم أجدها فى الفلاة من الأرض؟ قال : «[هى][(٢)] لك، أو لأخيك، أو للذئب» قال : فالبعير؟ قال : «ما لك ولَهُ، دعه حتى يجده صاحبه» .

قال رويفع : ثم قاموا، فرجعوا إلى منزلى، فإذا رسول الله ﷺ يأتى منزلى يحمل تمرا، فقال : «استعن بهذا التمر»، وكانوا يأكلون منه، ومن غيره، فأقاموا ثلاثة، ثم ودعوا رسول الله ﷺ، وأجازهم، ورجعوا إلى بلادهم[(٣)] .

فصل

وفى هذه القصة من الفقه : أن للضيف حقا على من نزل به، وهو ثلاث مراتب :

---

(١) فى خ : «فى»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٢) من الطبقات .
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٤٩) .

حق واجب، وتمام مستحب، وصدقة من الصدقات، فالحق الواجب يوم وليلة .

وقد ذكر النبى ﷺ المراتب الثلاثة فى الحديث المتفق على صحته من حديث أبى شريح الخزاعى، أن رسول الله ﷺ قال : «من كان يؤمن بالله، واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته»، قالوا : وما جائزته يا رسول الله؟ قال : «يومه، وليلته، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك، فهو صدقة، ولا يحل له أن يَثْوِيَ عنده حتى يُحْرِجه»[(١)] .

وفيه : جواز التقاط الغنم، وأن الشاة إذا لم يأت صاحبها فهى ملك الملتقط، واستدل بهذا بعض أصحابنا على أن الشاة، ونحوها مما يجوز التقاطه، يخير الملتقط بين أكله فى الحال وعليه قيمته، وبين بيعه وحفظ ثمنه، وبين تركه والإنفاق عليه من ماله، وهل يرجع به؟ على وجهين؛ لأنه ﷺ جعلها له إلا أن يظهر صاحبها، وإذا كانت له خُيِّرَ بين هذه الثلاثة، فإذا ظهر صاحبها دفعها إليه، أو قيمتها .

وأما متقدمو أصحاب أحمد، فعلى خلاف هذا . قال أبو الحسين : لا يتصرف فيها قبل الحول رواية واحدة، قال : وإن قلنا : يأخذ ما لا يستقل بنفسه كالغنم، فإنه لا يتصرف فيها بأكل، ولا غيره رواية واحدة، وكذلك قال ابن عقيل، ونص أحمد فى رواية أبى طالب فى الشاة : يُعرِّفُها سنة، فإن جاء صاحبها ردها إليه، وكذلك قال الشريف : ألا يملك الشاة قبل الحول، رواية واحدة، فقال أبو بكر : وضالة الغنم إذا أخذها يعرفها سنة، وهو الواجب، فإذا مضت السنة، ولم يعرف صاحبها كانت له .

والأول أفقه، وأقرب إلى مصلحة الملتقط، والمالك؛ إذ قد يكون تعريفها سنة مستلزما لتغريم مالكها أضعاف قيمتها إن قلنا : يرجع عليه بنفقتها، وإن قلنا : لا يرجع استلزم تغريم الملتقط ذلك وإن قيل : يدعها ولا يلتقطها كانت للذئب

---

(١) البخارى فى الأدب (٦٠١٩)، ومسلم فى الإيمان (٤٨ / ٧٧). وقوله : «يَثْوِى عنده» : أى يُقيم عنده .

وتلفت، والشارع لا يأمر بضياع المال .

فإن قيل : فهذا الذى رجحتموه مخالف لنصوص أحمد، وأقوال أصحابه، وللدليل أيضا .

أما مخالفة نصوص أحمد، فمما تقدم حكايته فى رواية أبى طالب، ونص أيضا فى روايته فى مضطر وجد شاة مذبوحة وشاة ميتة، قال : يأكل من الميتة، ولا يأكل من المذبوحة، الميتة أحلت، والمذبوحة لها صاحب قد ذبحها يريد أن يعرفها، ويطلب صاحبها، فإذا أوجب إبقاء المذبوحة على حالها فإبقاء الشاة الحية بطريق الأولى .

وأما مخالفة كلام الأصحاب، فقد تقدم .

وأما مخالفة الدليل، ففى حديث عبد الله بن عمرو : يا رسول الله، كيف ترى فى ضالة الغنم؟ فقال : «هى لك، أو لأخيك، أو للذئب، احبس على أخيك ضَالَّتَه» وفى لفظ : «رُدَّ على أخيك ضَالَّتَه»[1]، وهذا يمنع البيع، والذبح .

قيل : ليس فى نص أحمد أكثر من التعريف، ومن يقول : إنه مخير بين أكلها وبيعها وحفظها، لا يقول بسقوط التعريف، بل يعرفها مع ذلك، وقد عرف شيتها، وعلامتها، فإن ظهر صاحبها أعطاه القيمة، فقول أحمد : يعرفها أعم من تعريفها، وهى باقية، أو تعريفها وهى مضمونة فى الذمة لمصلحة صاحبها، وملتقطها، ولا سيما إذا التقطها فى السفر، فإن فى إيجاب تعريفها سنة من الحرج، والمشقة ما لا يرضى به الشارع، وفى تركها من تعريضها للإضاعة والهلاك، ما ينافى أمره بأخذها، وإخباره أنه إن لم يأخذها كانت للذئب، فيتعين، ولابد : إما بيعها وحفظ ثمنها، وإما أكلها وضمان قيمتها أو مثلها .

---

(١) أحمد (٢ / ١٨٠)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٦٦٨٣) : «إسناده صحيح»، وأبو داود فى اللقطة (١٧١٣) .

وأما مخالفة الأصحاب، فالذى اختار التخيير من أكبر أئمة الأصحاب، ومن يقاس بشيوخ المذهب الكبار الأجلاء، وهو أبو محمد المقدسى قدس الله روحه، ولقد أحسن فى اختياره التخيير كل الإحسان .

وأما مخالفة الدليل، فأين فى الدليل الشرعى المنع من التصرف فى الشاة الملتقطة فى المفازة، وفى السفر بالبيع، والأكل، وإيجاب تعريفها، والإنفاق عليها سنة مع الرجوع بالإنفاق أو مع عدمه؟ هذا ما لا تأتى به شريعة، فضلا أن يقوم عليه دليل، وقوله ﷺ: «احبس على أخيك ضالته»، صريح فى أن المراد به ألا يستأثر بها دونه، ويزيل حقه فيها، فإذا كان بيعها وحفظها ثمنها خيرا له من تعريفها سنة، والإنفاق عليها، وتغريم صاحبها أضعاف قيمتها، كان حبسها وردها عليه هو بالتخيير الذى يكون له فيه الحظ، والحديث يقتضيه بفحواه وقوته، وهذا ظاهر وبالله التوفيق .

ومنها: أن البعير لا يجوز التقاطه، اللهم إلا أن يكون فَلُوًّا صغيرا، لا يمتنع من الذئب ونحوه، فحكمه حكم الشاة بتنبيه النص، ودلالته .

فصل

فى قدوم وفد ذى مُرَّة

وقدم على رسول الله ﷺ وفد ذى مرة، ثلاثة عشر رجلا، رأسهم الحارث بن عوف فقالوا : يا رسول الله، إنا قومك وعشيرتك، نحن قوم من بنى لؤى بن غالب، فتبسم رسول الله ﷺ وقال للحارث : «أين تركتَ أهلك؟» قال : بِسَلَاح وما والاها، قال : «وكيف البلاد؟» قال : والله إنا لَمُسْنِتُون[1] ما فى المال مخ، فادع الله لنا، فقال رسول الله ﷺ : «اللهم اسقهم الغيث» .

فأقاموا أياما، ثم أرادوا الانصراف إلى بلادهم، فجاؤوا رسول الله ﷺ مودعين له، فأمر بلالا أن يجيزهم، فأجازهم بعشر أواق فضة، وفضل الحارث بن عوف، أعطاه اثنتى عشرة أوقية، ورجعوا إلى بلادهم، فوجدوا البلاد مطيرة، فسألوا : متى مطرت؟ فإذا هو ذلك اليوم الذى دعا رسول الله ﷺ فيه، وأخصبت بعد ذلك بلادهم[2] .

---

(١) فى هـ : «مستنون» ، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك، وتقدم قريبا معنى «مُسْنِتُون» .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٢٧) .

فصل

فى قدوم وفد خَوْلان

وقدم عليه ﷺ فى شهر شعبان سنة عشر وفد خولان، وهم عشرة، فقالوا : يا رسول الله، نحن على من وراءنا من قومنا، ونحن مؤمنون بالله عز وجل، ومصدقون برسوله، وقد ضربنا إليك آباط الإبل، وركبنا حُزُون الأرض[(١)]، وسهولها، والمنة لله، ولرسوله علينا، وقدمنا زائرين لك .

فقال رسول الله ﷺ : «أما ما ذكرتم من مَسِيركم إلى، فإن لكم بكل خَطْوَة خطاها بَعِير أحدكم حسنة، وأما قولكم : زائرين لك، فإنه من زارنى بالمدينة كان فى جِوَارى يوم القيامة» قالوا : يا رسول الله، هذا السفر الذى لا تَوَى عليه[(٢)] .

ثم قال رسول الله ﷺ : «ما فعل عَم أَنَسٍ» ـ وهو صنم خولان الذى كانوا يعبدونه ـ قالوا : أبشر، بدلنا الله به ما جئت به، وقد بقيت منا بقايا ـ من شيخ كبير، وعجوز كبيرة ـ متمسكون[(٣)] به، ولو قدمنا عليه لهدمناه إن شاء الله، فقد كنا منه فى غرور، وفتنة، فقال لهم رسول الله ﷺ : «وما أعظم ما رأيتم من فتنته؟» قالوا : لقد رأينا أَسْنَتْنا حتى أكلنا الرِّمَّة، فجمعنا ما قدرنا عليه، وابتعنا به مائة ثور، ونحرناها لعم أنس قربانا فى غداة واحدة، وتركناها تردها السباع، ونحن أحوج إليها من السباع، فجاءنا الغيث من ساعتنا، ولقد رأينا العُشْبَ يوارى[(٤)] الرجال، ويقول قائلنا : أنعم علينا عم أنس .

---

(١) حُزون الأرض : أى جبَالها .

(٢) لا تَوَى عليه : أى لا ضَياع ولا خَسَارة .

(٣) فى هـ : «متمسكين»، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك .

(٤) فى هـ : «رأينا الغيث موارى» ، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك.

وذكروا لرسول الله ﷺ ما كانوا يقسمون لصنمهم هذا من أنعامهم، وحروثهم، وأنهم كانوا يجعلون من ذلك جزءا له، وجزءا لله، بزعمهم، قالوا: كنا نزرع الزرع، فنجعل له وسطه، فنسميه له، ونسمى زرعا آخر حجرة لله، فإذا مالت الريح فالذى سميناه لله جعلناه لعم أنس، وإذا مالت الريح، فالذى جعلناه لعم أنس لم نجعله لله، فذكر لهم[1] رسول الله ﷺ أن الله أنزل عليه[2] فى ذلك: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦] قالوا: وكنا نتحاكم[3] إليه، فَنُكَلَّمُ، فقال رسول الله ﷺ: «تلك الشياطين تكلمكم».

وسألوه عن فرائض الدين، فأخبرهم وأمرهم بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة، وحسن الجوار لمن جاوروا، وألا يظلموا أحدا قال: «فإن الظلم ظُلُمات يوم القيامة»، ثم ودعوه بعد أيام، وأجازهم، فرجعوا إلى قومهم، فلم يَحُلُّوا عقدة حتى هدموا عم أنس[4].

(١) فى هـ: «له»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.
(٢) فى خ: «على»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.
(٣) فى خ: «نحاكم»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.
(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٤٥).

فصل

فى قدوم وفد مُحارِب

وقدم على رسول الله ﷺوفد محارب عام حجة الوداع، وهم كانوا أغلظ العرب وأفظهم على رسول الله ﷺفى تلك المواسم، أيام عرضه نفسه على القبائل، يدعوهم إلى الله، فجاء رسول الله ﷺمنهم عشرة نائبين عمن وراءهم من قومهم، فأسلموا، وكان بلال يأتيهم بغداء وعشاء، إلى أن جلسوا مع رسول الله ﷺيوما من الظهر إلى العصر، فعرف رجلا منهم، فأمده النظر، فلما رآه المحاربى يديم النظر إليه قال : كأنك يا رسول الله توهمنى؟ قال : «لقد رأيتك»، قال المحاربى : أى والله لقد رأيتنى، وكلمتنى، وكلمتك بأقبح الكلام ورددتك بأقبح الرد بعُكَاظ، وأنت تطوف على الناس، فقال رسول الله ﷺ: «نعم» .

ثم قال المحاربى : يا رسول الله، ما كان فى أصحابى أشد عليك يومئذ، ولا أبعد عن الإسلام منى، فأحمد الله الذى أبقانى حتى صدقتُ بك، ولقد مات أولئك النفر الذين كانوا معى على دينهم، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذه القلوب بيد الله عز وجل»، فقال المحاربى : يا رسول الله، استغفر لى من مراجعتى إياك، فقال رسول الله ﷺ: «إن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله من الكفر»، ثم انصرفوا إلى أهليهم[1] .

---

(١)الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٢٧، ٢٢٨) .

فصل

فى قدوم وفد صُدَاء فى سنة ثمان

وقدم عليه ﷺ وفد صداء، وذلك أنه لما انصرف من الجِعْرَانة بعث بعوثا، وهيأ بعثا استعمل عليه قيس بن سعد بن عبادة، وعقد له لواء أبيض، ودفع إليه راية سوداء، وعسكر بناحية قَنَاة فى أربعمائة من المسلمين، وأمره أن يطأ ناحية من اليمن كان فيها صُداء .

فقدم على رسول الله ﷺ رجل منهم، وعلم بالجيش، فأتى رسول الله ﷺ، فقال : يا رسول الله، جئتك وافدا على من ورائى، فاردد الجيش، وأنا لك بقومى، فرد رسول الله ﷺ قيس بن سعد من صدر قناة، وخرج الصدائى إلى قومه، فقدم على رسول الله ﷺ خمسة عشر رجلا منهم .

فقال سعد بن عبادة : يا رسول الله، دعهم ينزلوا على، فنزلوا عليه، فحياهم، وأكرمهم وكساهم، ثم راح بهم إلى النبى ﷺ، فبايعوه على الإسلام، فقالوا : نحن لك على من وراءنا من قومنا، فرجعوا إلى قومهم، ففشا فيهم الإسلام، فوافى رسول الله ﷺ منهم مائة رجل فى حجة الوداع .

ذكر هذا الواقدى، عن بعض بنى الْمُصْطَلِق، وذكر من حديث زياد بن الحارث الصدائى أنه الذى قدم على رسول الله ﷺ، فقال له : اردد الجيش، وأنا لك بقومى فردهم، قال : وقدم، وفد قومى عليه، فقال لى : «يا أخا صداء إنك لمُطَاع فى قومك؟» قال : قلت : بلى يا رسول الله من الله عز وجل، ومن رسوله ﷺ، وكان زياد هذا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، قال : فاعتشى رسول الله ﷺ، أى : سار

ليلا، واعتشينا معه، وكنت رجلا قويا، قال : فجعل أصحابه يتفرقون عنه، ولزمت غَرْزَه[١] .

فلما كان فى السَّحَر[٢] قال : «أذِّنْ يا أخا صداء» فأذنت على راحلتى، ثم سرنا حتى ذهبنا، فنزل لحاجته، ثم رجع، فقال : يا أخا صداء، هل معك ماء؟ فقلت : معى شىء فى إداوتى، فقال : «هاته»، فجئت به، فقال : «صُبَّ»، فصببت ما فى الإداوة فى القَعْب[٣]، فجعل أصحابه يتلاحقون، ثم وضع كفه على الإناء، فرأيت بين كل أصبعين من أصابعه عينا تفور .

ثم قال : «يا أخا صداء، لولا أنى أستحيى من ربى عز وجل لسقينا، واستقينا»، ثم توضأ وقال: «أذِّن فى أصحابى من كل جانب : مَنْ كانت له حاجة بالوضوء[٤]، فَلْيَرِدْ»، قال : فوردوا من آخرهم، ثم جاء بلال يقيم، فقال : «إن أخا صداء أذن ومن أذن، فهو يُقِيم»، فأقمت، ثم تقدم رسول الله ﷺ ، فصلى بنا، وكنت سألته قَبْلُ أن يؤمرنى على قومى، ويكتب لى بذلك كتابا، ففعل .

فلما سلم من صلاته قام رجل يَتَشَكَّى من عامله[٥] فقال : يا رسول الله، إنه أخذنا بِذُحُولٍ[٦] كانت بيننا وبينه فى الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ : «لا خير فى الإمارة لرجل مسلم» .

ثم قام رجل فقال : يا رسول الله، أعطنى من الصدقة، فقال رسول الله ﷺ : «إن الله لم يَكِلْ قسمتها إلى ملك مُقَرَّب، ولا نبى مرسل حتى جزأها ثمانية أجزاء، فإن كنت

---

(١) لزمت غَرْزَه : أى اتبعت قوله وفعله ولم أخالفه .
(٢) فى خ : «الحر» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٣) القَعْب : القَدَح يَروى الرجل .
(٤) فى خ : «الوضوء»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٥) فى خ : «من غلمة له» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٦) الذُحول : جمع الذَّحْل، وهو طلب المكافأة بجِنَاية جُنيتْ على المرء من قَتل أو جُرْح ونحو ذلك .

جزءا منها أعطيتك،وإن كنت غنيا عنها،فإنما هى صُدَاع فى الرأس،وداء فى البطن» .

فقلت فى نفسى : هاتان خصلتان حين سألت الإمارة، وأنا رجل مسلم وسألته[١] من الصدقة، وأنا غنى عنها، فقلت : يا رسول الله، هذان كتابك، فاقبلهما، فقال رسول الله ﷺ : «ولم؟»، فقلت : إنى سمعتك تقول : «لا خير فى الإمارة لرجل مسلم»، وأنا مسلم، وسمعتك تقول : «من سأل من الصدقة، وهو غنى عنها، فإنما هى صداع فى الرأس وداء فى البطن»، وأنا غنى، فقال رسول الله ﷺ: «أمَا إن الذى قلتُ كما قلتُ» فقبلهما رسول الله ﷺ، ثم قال : «دُلَّنِى على رجل من قومك أسْتَعْمِله»، فدللته على رجل منهم، فاستعمله .

قلت : يا رسول الله، إن لنا بئرا إذا كان الشتاء كفانا ماؤها، وإذا كان الصيف قَلَّ علينا، فتفرقنا على المياه، والإسلام اليوم فينا قليل، ونحن نخاف، فادع الله عز وجل لنا فى بئرنا، فقال رسول الله ﷺ: «ناولنى سبع حَصَيات»، فناولته، فعَرَكَهن بيده، ثم دفعهن إلى وقال : «إذا انتهيت إليها، فألق فيها حصاة حصاة، وسَمِّ الله» قال : ففعلت، فما أدركنا لها قعرا حتى الساعة[٢] .

فصل

فى فقه هذه القصة

ففيها : استحباب عقد الألوية، والرايات[٣] للجيش، واستحباب كون اللواء أبيض، وجواز كون الراية سوداء من غير كراهة .

---

(١) فى خ : «وسألت» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٤٧)، وانظر : سبل الهدى والرشاد (٦ / ٥٣٢ ـ ٥٣٤) .

(٣) فى خ : «الروايات»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

ومنها : قبول خبر الواحد، فإن النبى ﷺ رد الجيش من أجل خبر الصدائى وحده .

وفيها : جواز سير الليل كله فى السفر إلى الأذان، فإن قوله : اعتشى أى : سار عشية، ولا يقال لما بعد نصف الليل .

وفيها : جواز الأذان على الراحلة .

وفيها : طلب الإمام الماء من أحد رعيته[١] للوضوء، وليس ذلك من السؤال .

وفيها : أنه لا يتيمم حتى يطلب الماء، فيعوزه .

وفيها : المعجزة الظاهرة بفوران الماء من بين أصابعه لما وضعها فيه، أمده الله تعالى به، وكثره حتى جعل يفور من خلال[٢] الأصابع الكريمة، والجهال تظن أنه كان يشق الأصابع، ويخرج من نفس اللحم، والدم، وليس كذلك، وإنما بوضعه أصابعه فيه حَلَّتْ فيه البركة من الله والمدد، فجعل يفور حتى خرج من بين الأصابع، وقد جرى له هذا مرارا عديدة بمشهد أصحابه .

وفيها : أن السنة أن يتولى الإقامة من تولى الأذان، ويجوز أن يؤذن واحد، ويقيم آخر كما ثبتت فى قصة عبد الله بن زيد، أنه لما رأى الأذان، وأخبر به النبى ﷺ قال : «ألقه على بلال»، فألقاه عليه، ثم أراد بلال أن يقيم، فقال عبد الله بن زيد : يا رسول الله، أنا رأيت، أريد[٣] أن أقيم، قال : «فأقم»، فأقام هو، وأذن بلال، ذكره الإمام أحمد[٤] .

وفيها : جواز تأمير الإمام، وتوليته لمن سأله ذلك إذا رآه كفئا[٥]، ولا يكون

---

(١) فى خ : «من راحلته عينه»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٢) فى خ : «من بين»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٣) فى خ : «أن أريد» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٤) أحمد (٤ / ٤٢)، وأبو داود فى الصلاة (٥١٢)، وضعفه الألبانى .
(٥) فى خ : «إذا رآه كان كفئا»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

سؤاله مانعا من توليته، ولا يناقض هذا قوله فى الحديث[١] الآخر: «إنا لن[٢] نُوَلِّى على عملنا من أراده»[٣]، فإن الصدائى إنما سأله أن يؤمره[٤] على قومه خاصة، وكان مطاعا فيهم محببا إليهم، وكان مقصوده إصلاحهم، ودعاءهم إلى الإسلام، فرأى النبى ﷺ أن مصلحة قومه فى توليته، فأجابه إليها ورأى أن ذلك السائل إنما سأله الولاية لحظ نفسه، ومصلحته هو فمنعه منها، فولى للمصلحة، ومنع للمصلحة، فكان منعه لله وتوليته لله.

وفيها: جواز شكاية العمال الظلمة إلى الإمام، والقَدْح فيهم بظلمهم، وأن ترك الولاية خير للمسلم من الدخول[٥] فيها، وأن الرجل[٦] إذا ذكر أنه من أهل الصدقة أعطى منها بقوله ما لم يظهر منه خلافه.

ومنها: أن الشخص الواحد يجوز أن يكون وحده صنفا من الأصناف؛ لقوله: «إن الله جزأها ثمانية أجزاء، فإن كنت جزءا منها أعطيتك».

ومنها: جواز إقالة الإمام لولاية من ولاه إذا سأله ذلك.

ومنها: استشارة الإمام لذى الرأى من أصحابه، فيمن يوليه.

ومنها: جواز الوضوء بالماء المبارك، وأن بركته لا توجب كراهة الوضوء منه، وعلى هذا فلا يكره الوضوء من ماء زمزم، ولا من الماء الذى يجرى على ظهر الكعبة، والله أعلم.

---

(١) فى خ: «ولا يكون هذا مناقضًا للحديث»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.
(٢) فى خ: «لا»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.
(٣) البخارى فى الأحكام (٧١٤٩)، ومسلم فى الإمارة (١٧٣٣ / ١٤).
(٤) فى خ: «يؤمر»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.
(٥) فى خ: «دخوله»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.
(٦) فى هـ: «للرجل»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

فصل

فى قدوم وفد غَسَّان

وقدموا فى شهر رمضان سنة عشر، وهم ثلاثة نفر، فأسلموا، وقالوا : لا ندرى أيتبعنا قومنا أم لا؟ وهم يحبون بقاء ملكهم، وقرب قيصر، فأجازهم رسول الله ﷺ بجوائز وانصرفوا راجعين، فقدموا على قومهم، فلم يستجيبوا لهم، فكتموا إسلامهم حتى مات منهم رجلان على الإسلام، وأدرك الثالث منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام اليرموك، فلقى أبا عبيدة، فأخبره بإسلامه، فكان يكرمه[1][2].

فصل

فى قدوم وفد سَلَامان

وقدم عليه ﷺ وفد سلامان، سبعة نفر، منهم حبيب بن عمرو، فأسلموا .

قال حبيب : فقلت : أى رسول الله، ما أفضل الأعمال؟ قال : «الصلاة فى وقتها»، ثم ذكر حديثا طويلا، وصلوا معه يومئذ الظهر، والعصر، قال : فكانت صلاة العصر أخف من القيام فى الظهر، ثم شكوا إليه جَدْب بلادهم، فقال رسول الله ﷺ بيده : «اللهم اسقهم الغَيْثَ فى دارهم»، فقلت : يا رسول الله، ارفع يديك فإنه أكثر، وأطيب، فتبسم رسول الله ﷺ ورفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قام، وقمنا عنه . فأقمنا ثلاثا، وضيافته تجرى علينا ثم ودعناه، وأمر لنا بجوائز، فأعطينا

---

(١) فى خ : «يكره» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٥٥) .

خمس أواق لكل رجل منا، واعتذر إلينا بلال، وقال : ليس عندنا اليوم مال، فقلنا : ما أكثر هذا، وأطيبه، ثم رحلنا إلى بلادنا، فوجدناها قد مطرت فى اليوم الذى دعا فيه رسول الله ﷺ فى تلك الساعة . قال الواقدى : وكان مقدمهم فى شوال سنة عشر[١] .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٥١) .

فصل

فى قدوم وفد بنى عَبْس

وقدم عليه وفد بنى عبس، فقالوا : يا رسول الله، قدم علينا قراؤنا، فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له، ولنا أموال، ومواش وهى معايشنا، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له فلا خير فى أموالنا، بعناها، وهاجرنا من آخرنا، فقال رسول الله ﷺ : «اتقوا الله حيث كنتم، فلن يَلِتْكُمُ الله من أعمالكم شيئا» . وسألهم رسول الله ﷺ عن خالد بن سِنان هل له عقب؟ فأخبروه أنه لا عقب له كانت ابنة، فانقرضت، وأنشأ رسول الله ﷺ يحدث أصحابه عن خالد بن سنان، فقال : «نبى ضَيَّعه قومُه»[1] .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٢٥، ٢٢٦)، والحاكم فى المستدرك (٢ / ٥٩٨ ـ ٥٩٩)، وعزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد (٨ / ٢١٧) للبزار والطبرانى، وقال : «وفيه قيس بن الربيع وقد وثقه شعبة والثورى، ولكن ضعفه أحمد مع ورعه، وهذا الحديث معارض للحديث الصحيح، قوله ﷺ : «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، الأنبياء أخوة لعلات وليس بينى وبينه نبى» . وقال الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٣ / ٤٠٢): «ولا يصح ...»، وكذلك قال الألبانى فى الضعيفة (٢٨١) .

فصل

فى قدوم وفد غامد

قال الواقدى : وقدم على رسول الله ﷺ وفد غامد سنة عشر[١]، وهم عشرة، فنزلوا ببَقِيع الغَرْقَد، وهو[٢] يومئذ أثْلٌ، وطرفاء[٣]، ثم انطلقوا إلى رسول الله ﷺ وخلفوا عند رحلهم أحدثهم سنا فنام عنه، وأتى سارق، فسرق عيبة لأحدهم فيها أثواب له، وانتهى القوم إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه، وأقروا له بالإسلام، وكتب لهم كتابا فيه شرائع من شرائع الإسلام، وقال لهم : «من خَلَّفْتُم فى رحالكم؟» فقالوا : أحدثنا يا رسول الله، قال : «فإنه قد نام عن متاعكم حتى أتى آت، فأخذ عيبة أحدكم»، فقال أحد القوم : يا رسول الله، ما لأحد من القوم عيبة غيرى، فقال رسول الله ﷺ : «فقد أُخِذَتْ ورُدَّتْ إلى موضعها» .

فخرج القوم سراعا حتى أتوا رحلهم، فوجدوا صاحبهم، فسألوه عما أخبرهم رسول الله ﷺ، قال : فزعت من نومى، ففقدت العيبة، فقمت فى طلبها، فإذا رجل قد كان قاعدا، فلما رآنى ثار يعدو منى، فانتهيت إلى حيث انتهى، فإذا أثر حفر[٤] وإذا هو قد غيب العيبة، فاستخرجتها، فقالوا : نشهد أنه[٥] رسول الله، فإنه قد

---

(١) فى خ : «عشرة»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .

(٢) فى خ : «هم»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ.

(٣) فى خ : «فطرفاء» ، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ . والطَّرْفاء : شجَر، وهى أربعة أصناف، والأثْل صنف منها .

(٤) فى خ : «فإنه جعفر»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .

(٥) فى خ : «بأنه»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .

أخبرنا بأخذها، وأنها قد ردت .

فرجعوا إلى النبى ﷺ فأخبروه، وجاء الغلام الذى خلفوه، فأسلم، وأمر النبى ﷺ أبىّ بن كعب، فعلمهم قرآنا وأجازهم [النبى][1] ﷺ كما كان يجيز الوفود، وانصرفوا[2] . انتهى .

(١) ليست فى خ ،ق ، ك ، وما أثبتناه من هـ .
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٦٠) .

فصل

فى قدوم وفد الأزْد على رسول الله ﷺ

ذكر أبو نعيم فى كتاب «معرفة الصحابة»، والحافظ أبو موسى المدينى من حديث أحمد بن أبى الحَوارى قال : سمعت أبا سليمان[1] الدَّارَانى، قال : حدثنى علقمة بن يزيد بن سويد الأزدى قال : حدثنى أبى، عن جدى سُوَيْد بن الحارث، قال : وفدت سابع سبعة من قومى على رسول الله ﷺ، فلما دخلنا عليه، وكلمناه أعجبه ما رأى[2] من سمتنا، وزينا، فقال : «ما أنتم؟» قلنا : مؤمنون، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : «إن لكل قَوْلٍ حقيقة، فما حقيقة قولكم وإيمانكم؟» .

قلنا : خمس عشرة خصلة، خمس منها أمرتنا بها رسلك أن نؤمن بها، وخمس أمَرَتْنا أن نعمل بها،وخمس تخلقنا بها فى الجاهلية،فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئا .

فقال رسول الله ﷺ : «وما الخمس التى أمرتكم بها رسلى، أن تؤمنوا بها؟» .

قلنا : أمرتنا أن نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت .

قال : «وما الخمس التى أمرتكم أن تعملوا بها؟» .

قلنا : أمرتنا أن نقول : لا إله إلا الله، ونقيم الصلاة، ونؤتى الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلا .

فقال : «وما الخمس التى تخلقتم[3] بها فى الجاهلية؟» .

---

(١) فى خ : «سلمان» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٢) فى هـ : «رآه»، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك .
(٣) فى خ : «تحليتم» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

قالوا[١]: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والرضا بمر القضاء، والصدق فى مواطن اللقاء، وترك الشماتة بالأعداء.

فقال رسول الله ﷺ: «حُكَماء علماء، كادوا من فِقْههم أن يكونوا أنبياء»، ثم قال: «وأنا أزيدكم خمسا، فتتم لكم عشرون خصلة، إن كنتم كما تقولون، فلا تَجْمَعُوا ما لا تأكلون، ولا تَبْنُوا ما لا تسكنون، ولا تَنَافَسُوا فى شىء أنتم عنه غدا تزولون، واتقوا الله الذى إليه ترجعون، وعليه تُعْرَضون، وارغبوا فيما عليه تقدمون، وفيه تَخْلُدون»، فانصرف القوم من عند رسول الله ﷺ وحفظوا وصيته وعملوا بها[٢].

---

(١) فى خ: «قلنا»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٥٤، ٢٥٥)، وأورده الحافظ ابن حجر فى الإصابة (٢ / ٩٨)، وعزاه لأبى أحمد العسكرى، والحديث سنده ضعيف؛ لضعف علقمة بن يزيد بن سويد.

فصل

فى قدوم وفد بنى المُنْتَفِقِ على رسول الله ﷺ

روينا عن عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل فى مسند أبيه قال : كتب إلىَّ إبراهيم ابن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيرى : كَتَبْتُ إليك بهذا الحديث، وقد عرضته وسمعته على ما كَتبتُ به[١] إليك، فحدث بذلك عنى، قال : حدثنى عبد الرحمن بن المغيرة الحزامى، قال : حدثنا عبد الرحمن بن عياش الأنصارى، عن دَلْهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلى، عن أبيه، عن عمه لقيط بن عامر، قال دلهم : وحدثنيه أيضا أبو[٢] الأسود بن عبد الله، عن[٣] عاصم بن لقيط، أن لقيط بن عامر[٤] ﷺ خرج وافدا إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له يقال له : نَهِيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق .

قال لقيط : خرجت أنا وصاحبى حتى قدمنا على رسول الله ﷺ، فوافيناه حين انصرف من صلاة[٥] الغداة، فقام فى الناس خطيبا فقال : «يأيها الناس، ألا إنى قد خبأت لكم صَوْتى منذ أربعة أيام، ألا لتسمعوا اليوم، ألا فهل من امرئ بعثه قومه؟»، فقالوا : اعلم لنا ما يقول[٦] رسول الله ﷺ «ألا ثَمَّ رَجُلٌ لعله يلهيه حديث نفسه، أو حديث صاحبه، أو يلهيه ضَالٌ، ألا إنى مسؤول، هل بلغتُ، ألا اسمعوا تعيشوا، ألا اجلسوا[٧]» فجلس الناس .

---

(١) فى خ : «كتبته له» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٢) فى ق، هـ : «أبى»، وما أثبتناه من خ، ك .
(٣) فى خ : «ابن» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٤) فى هـ : «عاصم»، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك .
(٥) فى خ : «من غداة من صلاة»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٦) فى خ : «يقوم» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٧) فى خ : «احبسوا»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

وقمت أنا وصاحبى حتى إذا فرغ لنا فؤاده، ونظره، فقلت : يا رسول الله، ما عندك من علم الغيب؟ فضحك، لعمر الله، وعلم أنى أبتغى السَّقْطة، فقال : «ضَنَّ ربك بمفاتيح خَمْسٍ من الغيب لا يعلمها إلا الله»، وأشار بيده، فقلت : وما هُنَّ يا رسول الله؟ قال : «عِلْم المَنِيَّة، قد علم متى مَنِيَّةُ أحدكم، ولا تعلمونه، وعِلْم المَنِىِّ حتى يكون فى الرحم، قد علمه، ولا تعلمونه، وعِلْم ما فى غَدٍ، قد علم ما أنت طاعم، ولا تعلمه، وعِلْم [(١)] يوم الغيث، يُشرِف عليكم أزِلين مُشفقين فيظل يضحك، قد علم أن غَوْثَكم إلى قريب» قال لقيط : فقلت له : لن [(٢)] نعدم من رب [(٣)] يضحك خيرا يا رسول الله، قال : «وعلم يوم الساعة» .

قلت [(٤)] : يا رسول الله، عَلِّمنا مما تُعَلِّم الناس وتعلم، فإنا من قبيل لا يُصدقون تصديقنا أحدًا من مِذْحَج التى تربو [(٥)] علينا، وخَثْعَم التى توالينا، وعشيرتنا [التى نحن منها، قال : «تَلْبِثُون ما لبثتم، ثم يتوفى نبيكم] [(٦)]، ثم تلبثون ما لبثتم، ثم تبعث الصائحة، فلعمر إلهك، ما تدع على ظهرها شيئا إلا مات، والملائكة الذين مع ربك عز وجل، فأصبح ربك عز وجل يطوف فى الأرض [وحده، وقد] [(٧)] خلت عليه البلاد، فأرسل ربك السماء تَهْضِبُ من عند العرش، فلعمر إلهك، ما تدع على ظهرها من مَصْرَع قتيل ولا مدفن ميت، إلا شَقَّت القبر عنه حتى تخلفه من عند رأسه، فيستوى جالسا، فيقول ربك : مهيم لما كان فيه، يقول : يا رب أمسِ اليوم [(٨)] لعهده بالحياة يحسبه حديثا [(٩)] بأهله» .

---

(١) فى : «يعلم» .
(٢) فى خ : «ما»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٣) فى خ : «تب»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٤) فى خ : «قلنا» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٥) فى خ : «يدعو»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٦، ٧) ليست فى خ ،ق ، ك، وما أثبتناه من هـ .
(٨) فى خ : «إليهم» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٩) فى خ : «حديث»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

قلت : يا رسول الله، فكيف يجمعنا بعد ما تُمزِّقنا الرياح، والبِلَى والسباع؟ قال : «أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله : الأرض أشْرَفْتَ عليها، وهى [فى][(١)] مَدَرَة بالية» فقلت : لا تحيى أبدا «ثم أرسل الله ـ تعالى ـ عليها السماء، فلم تلبث عليك إلا أياما حتى أشْرَفْتَ عليها، وهى شربة واحدة، ولعمر إلهك، لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض، فتخرجون من الأصْوَاء، ومن مصارعكم، فتنظرون إليه، وينظر إليكم» .

قال : قلت : يا رسول الله، كيف ونحن ملء الأرض، وهو شخص واحد ينظر إلينا، وننظر إليه؟ قال : «أنبئك بمثل هذا فى آلاء الله : الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها[(٢)] ويريانكم ساعة واحدة، ولا تُضَارُّون[(٣)] فى رؤيتها» [ولعمر إلهك، لهو أقدر على أن يراكم، وترونه من أن تروا نورهما، ويريانكم لا تضارون[(٤)] فى رؤيتها][(٥)] .

قلت : يا رسول الله، فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه؟ قال : «تعرضون عليه، بادية له صَفَحَاتكم، لا يخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من ماء، فينضح بها قِبَلَكم، فلعمر إلهك، ما يخطئ وجه أحد منكم منها قطرة، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الرَّيْطَة البيضاء، وأما الكافر فتنضحه، أو قال : فتنطحه بمثل الحُمَم الأسود[(٦)]، ألا ثم ينصرف نبيكم ويُفَرَّق على أثره الصالحون، فيسلكون جسرا من النار، يطأ أحدكم الجمرة يقول : حِسَّ، يقول ربك عز وجل، أو أنه، ألا فتطلعون على حوض نبيكم على أظْمَاء ـ والله ـ نَاهِلَة عليها قط رأيتها، فلعمر إلهك، ما يَبْسُط

---

(١) ق ، ك ، هـ، وما أثبتناه من خ .
(٢) فى خ : «ترونها» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ.
(٣) فى ق : «تضامون»، وما أثبتناه من خ ، ك ، هـ .
(٤) فى خ : «تضامون»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٥) ليست فى ق ، ك، وما أثبتناه من خ، هـ .
(٦) فى خ : «فتنطحه منكم منها قطرة بصير بمثل الحمم الأسود»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

أحد منكم يده إلا وقع عليها قَدَحٌ يُطهِّره[١] من الطَّوْف والبول والأذى وتُخْنَس[٢] الشمس والقمر فلا ترون منهما واحدا» .

قال : قلت : يا رسول الله، فبم نبصر؟ قال : «بمثل بصرك ساعتك هذه، وذلك قبل[٣] طلوع الشمس فى يوم أشرقت الأرض، وواجهت به الجبال» .

قال : قلت : يا رسول الله، فبم نُجْزَى من سيئاتنا [وحسناتنا؟][٤]، قال ﷺ : «الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها إلا أن يعفو» .

قال : قلت : يا رسول الله، ما الجنة، وما النار؟ قال : «لعمر إلهك[٥]، إن النار لها سبعة أبواب، ما منها بابان إلا يسير الراكب [بينهما][٦] سبعين عاما، وإن للجنة لثمانية[٧] أبواب، ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما» .

قلت : يا رسول الله، فعلام نطلع من الجنة؟ قال : «على أنهار من عسل مُصَفًّى، وأنهار من خمر ما بها صُداع، ولا نَدَامَة، وأنهار من لبن[٨] ما يتغير طعمه، وماء غير آسن، وفاكهة، ولعمر إلهك ما تعلمون، وخير من مثله معه، وأزواج مطهرة» .

قلت : يا رسول الله، أو لنا فيها أزواج أو منهن مصلحات؟ قال : «المصلحات للصالحين» وفى لفظ : «الصالحات للصالحين تَلَذُّونَهُنَّ، ويَلَذُّونكم مثل لذاتكم فى الدنيا، غير أن لا توالد» .

قال لقيط : فقلت : يا رسول الله، أقصى ما نحن بالغون، ومنتهون إليه؟ فلم

---

(١) فى هـ : «يطهر»، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك .
(٢) فى هـ : «يحبس» ، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك.
(٣) فى ق : «مع »، وما أثبتناه من خ ، ك ، هـ.
(٤) ليست فى خ ، ق ، ك ، وما أثبتناه من هـ .
(٥) فى خ : «لعمير فإلهه»، وما أثبتناه من خ ، ك ، هـ .
(٦) ليست فى ق ، ك، وما أثبتناه من خ، هـ .
(٧) فى خ : «ثمانية»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٨) فى خ : «خمر» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ.

يجبه النبى ﷺ .

قال : قلت : يا رسول الله، علام أبايعك؟ فبسط النبى ﷺ يده، وقال : «على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وزِيَال المُشْرِك[١]، وألا تشرك بالله إلها غيره» .

قال : قلت : يا رسول الله، وإن لنا ما بين المشرق والمغرب، فقبض رسول الله ﷺ يده، وظن أنى مشترط ما لا يعطينيه، قال : قلت : نحل منها حيث شئنا، ولا يجنى امرؤ إلا على نفسه، فبسط يده وقال : «لك ذلك، تَحِلُّ حيث شئتَ، ولا يَجْنِى عليك إلا نفسك» قال : فانصرفنا عنه، ثم قال : «ها إنَّ ذَيْن، ها إنَّ ذَيْن ـ مرتين ـ لعمر إلهك، من أتقى الناس فى الأولى، والآخرة»، فقال له كعب بن الخدرية أحد بنى بكر بن كلاب : من هم يا رسول الله؟ قال : «بنو المنتفق، بنو المنتفق، بنو المنتفق، أهل ذلك منهم» .

قال : فانصرفنا، وأقبلت عليه، فقلت : يا رسول الله، هل لأحد ممن مضى من خير فى جاهليتهم؟ فقال رجل من عُرْض قريش : والله إن أباك المنتفق لفى النار، قال : فكأنه وقع حر بين جلد وجهى ولحمه، مما قال لأبى على رؤوس الناس، فهممت أن أقول :وأبوك يا رسول الله؟ ثم إذا الأخرى أجمل، فقلت : يا رسول الله، وأهلك؟ قال : «وأهلى لعَمْرُ الله، [حيث][٢] ما أتيتَ على قبر عامرى، أو قُرَشِى، من مشرك قل[٣] : أرسلنى إليك محمد، فأُبشِّرك بما يسوؤك، تُجَرُّ[٤] على وجهك وبطنك فى النار» .

قال : قلت : يا رسول الله، وما فعل بهم ذلك، وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه، وكانوا يحسبون أنهم مصلحون؟ قال ﷺ : «ذلك بأن الله بعث فى آخر كل

(١) فى هـ : «الشرك»، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك .
(٢) ليست فى خ ، ق ، ك ، وما أثبتناه من هـ .
(٣) فى هـ : «إلا»، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك .
(٤) فى خ : «تجرنى»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

سبع أمم نبيا، فمن عصى نبيه كان من الضالين،ومن أطاع نبيه كان من المهتدين»[(١)].

هذا حديث كبير جليل تُنادى جلالته، وفخامته، وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة؛ لا يعرف إلا من حديث عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن المدنى، رواه عنه إبراهيم بن حمزة الزبيرى، وهما من كبار علماء المدينة، ثقتان محتج بهما فى الصحيح، احتج بهما إمام أهل الحديث محمد ابن إسماعيل البخارى، رواه أئمة [أهل][(٢)] السنة فى كتبهم، وتلقوه بالقبول، وقابلوه بالتسليم، والانقياد، ولم يطعن أحد منهم فيه ولا فى أحد من رواته.

فممن رواه: الإمام ابن الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل فى مسند أبيه وفى كتاب السنة، وقال: كتب إلى إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيرى: كتبت إليك بهذا الحديث، وقد عرضته، وسمعته على ما كتبت به إليك، فحدث به عنى.

ومنهم: الحافظ الجليل أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبى عاصم النبيل فى كتاب «السنة» له[(٣)].

ومنهم: الحافظ أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان العسال فى كتاب المعرفة.

ومنهم: حافظ زمانه ومحدث أوانه أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى فى كثير من كتبه.

---

(١) عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند (٤ / ١٣، ١٤)، والطبرانى فى الكبير (١٩ / ٢١١) (٤٧٧)، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠ / ٣٤١): «رواه عبد الله والطبرانى بنحوه، وأحد طريقى عبد الله إسنادها متصل، ورجالها ثقات، والإسناد الآخر وإسناد الطبرانى مرسل، عن عاصم بن لقيط»، وضعفه الألبانى فى ظلال الجنة (٦٣٦).

(٢) ليست فى ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ.

(٣) السنة لابن أبى عاصم (٦٣٦)، وقال الألبانى فى ظلال الجنة: «إسناده ضعيف».

ومنهم : الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن حيان[١] أبو الشيخ الأصبهانى فى كتاب السنة .

ومنهم : الحافظ بن الحافظ بن الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة حافظ أصبهان .

ومنهم : الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه .

ومنهم : حافظ عصره أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن إسحاق الأصبهانى وجماعة من الحفاظ سواهم، يطول ذكرهم .

وقال ابن مندة : روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصنعانى، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وغيرهما، وقد رواه بالعراق بمجمع العلماء، وأهل الدين جماعة من الأئمة، منهم أبو زرعة الرازى، وأبو حاتم، وأبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ولم ينكره أحد، ولم يتكلم فى إسناده بل رووه على سبيل القبول، والتسليم، ولا ينكر هذا الحديث إلا جاحد،أو جاهل، أو مخالف[٢] للكتاب،والسنة هذا كلام أبى عبد الله ابن مندة ـ رحمه الله تعالى .

وقوله : «تَهْضِبُ» : أى تُمطر، والأصواء : القبور، والشَّرَبة ـ بفتح الراء ـ الحوض الذى يجتمع فيه الماء، وبالسكون : الحنظلة يريد أن الماء قد كثر، فمن حيث شئت تشرب، وعلى رواية السكون : يكون قد شبه الأرض بخضرتها بالنبات بخضرة الحنظلة واستوائها .

وقوله : «حِسّ» : كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه على غفلة ما يحرقه، أو يؤلمه، قال الأصمعى : وهى مثل أوَّه .

---

(١) فى خ : «حبان» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ.

(٢) فى خ : «إلا جاحدًا وجاهلاً ومخالف» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ.

وقوله : «يقول ربك عز وجل : أو أنه»: قال ابن قتيبة : فيه قولان : أحدهما : أن يكون أنه بمعنى نعم، والآخر : أن يكون الخبر محذوفا، كأنه قال : أنتم كذلك أو أنه على ما يقول .

والطوف الغائط،وفى الحديث: «لا يُصَلِّ أحدكم، وهو يدافع الطوف والبول .

والجسر :الصراط .

وقوله : «فيقول ربك ـ عز وجل ـ مَهْيَم» :أى : ما شأنك، وما أمرك، وفيم كنت .

وقوله : «يشرف عليكم أزلين» :الأزل ـ بسكون الزاى ـ الشدة، والأزل على وزن كتف : هو الذى قد أصابه الأزل، واشتد به حتى كاد يقنط .

وقوله : «فيظل يضحك» : هو من صفات أفعاله سبحانه التى لا يشبهه فيها شىء من مخلوقاته كصفات ذاته، وقد وردت هذه الصفة فى أحاديث كثيرة لا سبيل إلى ردها، كما لا سبيل إلى تشبيهها، وتحريفها، وكذلك «فأصبح ربك يطوف فى الأرض» هو من صفات فعله كقوله : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾[الفجر : ٢٢] ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ ﴾[الأنعام : ١٥٨] وينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا[١]، ويدنو عشية عرفة، فيباهى بأهل الموقف الملائكة[٢]، والكلام فى الجميع صراط واحد مستقيم، إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تحريف ولا تعطيل .

وقوله : «والملائكة الذين عند ربك» : لا أعلم موت الملائكة جاء فى حديث صريح إلا هذا، وحديث إسماعيل بن رافع الطويل، وهو حديث الصور، وقد

---

(١)أحمد (٢ / ٢٦٤، ٢٦٥)، والبخارى فى التهجد (١١٤٥)، ومسلم فى صلاة المسافرين وقصرها (٧٥٨ / ١٦٩) .

(٢)مسلم فى الحج (١٣٤٨ / ٤٣٦) .

يستدل عليه بقوله تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[الزمر : ٦٨] .

وقوله : «فلَعَمْر إلهك» : هو قسم بحياة الرب جل جلاله، وفيه دليل على جواز الإقسام بصفاته، وانعقاد اليمين بها، وأنها قديمة، وأنه يطلق عليه منها أسماء المصادر، ويوصف بها، وذلك قدر زائد على مجرد الأسماء، وأن الأسماء الحسنى مشتقة من هذه المصادر دالة عليها .

وقوله : «ثم تجيء الصائحة» : هى صيحة البعث، ونفخته .

وقوله : «حتى يخلفه من عند رأسه» : هو من أخلف الزرع : إذا نبت بعد حصاده، شبه النشأة الآخرة بعد الموت بإخلاف الزرع بعدما حصد، وتلك الخلفة من عند رأسه كما ينبت الزرع .

وقوله : «فيستوى جالسا» : هذا عند تمام خلقته، وكمال حياته، ثم يقوم بعد جلوسه قائما، ثم يساق إلى موقف القيامة إما راكبا، وإما ماشيا .

وقوله : «يقول : يا رب أمس اليوم» : استقلال لمدة لبثه فى الأرض، وكأنه لبث فيها يوما، فقال: أمس، أو بعض يوم، فقال : اليوم يحسب أنه حديث عهد بأهله، وأنه إنما فارقهم أمس أو اليوم .

وقوله : «كيف يجمعنا بعد ما تمزقنا الرياح، والبلى، والسباع؟» : وإقرار رسول الله ﷺ له على هذا السؤال رد على من زعم أن القوم لم يكونوا يخوضون فى دقائق المسائل، ولم يكونوا يفهمون حقائق الإيمان، بل كانوا مشغولين بالعلميات[1]، وأن أفراخ الصابئة، والمجوس من الجهمية، والمعتزلة، والقدرية أعرف منهم بالعلميات[2] .

(١، ٢) فى هـ : «العمليات»، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك .

وفيه : دليل على أنه كانوا يوردون على رسول الله ﷺ ما يشكل عليهم من الأسئلة والشبهات، فيجيبهم عنها بما يثلج به صدورهم، وقد أورد عليه ﷺ الأسئلة أعداؤه وأصحابه، أعداؤه : للتعنت والمغالبة، وأصحابه : للفهم والبيان، وزيادة الإيمان، وهو يجيب كلا عن سؤاله، إلا ما لا جواب عنه، كسؤاله عن وقت الساعة، وفى هذا السؤال دليل على أنه سبحانه يجمع أجزاء العبد بعدما فرقها وينشئها نشأة أخرى، ويخلقه خلقا جديدا كما سماه فى كتابه كذلك فى موضعين منه .

وقوله: «أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله»: آلاؤه: نعمه وآياته التى تعرف بها إلى عباده.

وفيه : إثبات القياس فى أدلة التوحيد، والمعاد والقرآن مملوء منه .

وفيه : أن حكم الشيء حكم نظيره، وأنه سبحانه إذا كان قادرا على شيء، فكيف تعجز قدرته عن نظيره ومثله؟ فقد قرر الله سبحانه أدلة المعاد فى كتابه أحسن تقرير، وأبينه وأبلغه، وأوصله إلى العقول والفطر، فأبى أعداؤه الجاحدون إلا تكذيبا له، وتعجيزا وطعنا فى حكمته، تعالى عما يقولون علوا كبيرا .

وقوله فى الأرض : «أشرفت عليها وهى مدرة بالية» : هو كقوله تعالى : ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم : ١٩] وقوله : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾[فصلت : ٣٩] ونظائره فى القرآن كثيرة .

وقوله : «فتنظرون إليه، وينظر إليكم» : فيه إثبات صفة النظر لله عز وجل، وإثبات رؤيته فى الآخرة .

وقوله : «كيف ونحن ملء الأرض، وهو شخص واحد» : قد جاء هذا فى هذا الحديث، وفى قوله فى حديث آخر : «لا شَخْصَ أغْيَرُ من الله»[1]، والمخاطبون بهذا

(١) البخارى فى الحدود (٦٨٤٦)، ومسلم فى اللعان (١٤٩٩ / ١٧) .

قوم عرب يعلمون المراد منه، ولا يقع فى قلوبهم تشبيهه سبحانه بالأشخاص، بل هم أشرف عقولا، وأصح أذهانا وأسلم قلوبا من ذلك، وحقق ﷺ وقوع الرؤية عيانا برؤية الشمس، والقمر تحقيقا لها، ونفيا لتوهم المجاز الذى يظنه المعطلون .

وقوله : «فيأخذ ربك بيده غرفة من الماء، فينضح بها قبلكم» : فيه إثبات صفة اليد له سبحانه، وإثبات الفعل الذى هو النضح .

والرَّيْطة : الملاءة .

والحُمَم : جمع حُمَمَة، وهى الفحمة .

وقوله : «ثم ينصرف نبيكم» : هذا انصراف من موقف القيامة إلى الجنة .

وقوله : «ويفرق على أثره الصالحون» : أى يفزعون، ويمضون على أثره .

وقوله : «فتطلعون على حوض نبيكم» : ظاهر هذا أن الحوض من وراء الجسر، فكأنهم لا يصلون إليه حتى يقطعوا الجسر، وللسلف فى ذلك قولان، حكاهما القرطبى فى تذكرته والغزالى، وغَلَّطَا من قال : إنه بعد الجسر .

وقد روى البخارى : عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «بَيْنَا أنا قائم على الحوض إذا زُمْرَة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم، فقال لهم : هَلُمَّ، فقلت : إلى أين؟ فقال : إلى النار، والله، قلت : ما شأنهم؟ قال : إنهم ارتدوا على أدبارهم، فلا أراه يَخْلُص منهم إلا مثل هَمَلِ النَّعَم»[1] قال : فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون فى الموقف قبل الصراط؛ لأن الصراط إنما هو جسر ممدود على جهنم، فمن جازه سلم من النار .

قلت : وليس بين أحاديث رسول الله ﷺ تعارض، ولا تناقض، ولا اختلاف،

(١) البخارى فى الرقاق (٦٥٨٧) . والهَمَل : ضَوَالُ الإبل، أى: أن الناجى منهم قليل فى قلة النَّعم الضَّالّة .

وحديثه كله يصدق بعضه بعضا ، وأصحاب هذا القول إن أرادوا أن الحوض لا يرى، ولا يوصل إليه إلا بعد قطع الصراط، فحديث أبى هريرة هذا وغيره يرد قولهم .

وإن أرادوا أن المؤمنين إذا جازوا الصراط، وقطعوه بدا لهم الحوض، فشربوا منه فهذا يدل عليه حديث لقيط هذا وهو لا يناقض كونه قبل الصراط، فإن [قوله][(١)] : طوله شهر، وعرضه شهر، فإذا كان بهذا الطول، والسعة، فما الذى يحيل امتداده إلى وراء الجسر، فيرده المؤمنون قبل الصراط وبعده، فهذا فى حيز الإمكان، ووقوعه موقوف على خبر الصادق، والله أعلم .

وقوله : «على أظمأ ـ والله ـ ناهلة قط» : الناهلة : العطاش الواردون للماء، أى : يردونه أظمأ ما هم إليه، وهذا يناسب أن يكون بعد الصراط، فإنه جسر النار؟ وقد وردوها كلهم، فلما قطعوه اشتد ظمؤهم إلى الماء، فوردوا حوضه ﷺ كما وردوه فى موقف القيامة .

وقوله : «وتخنس[(٢)] الشمس والقمر» : أى : تختفيان، وتحتبسان، ولا يريان، والانخناس : التوارى، والاختفاء، ومنه : قول أبى هريرة : فانخنست منه .

وقوله : «ما بين البابين مسيرة سبعين عاما» : يحتمل أن يريد به : أن بعد ما بين الباب، والباب هذا المقدار، ويحتمل أن يريد بالبابين المصراعين، ولا يناقض هذا ما جاء من تقديره بأربعين عاما؛ لوجهين :

أحدهما : إنه لم يصرح فيه راويه[(٣)] بالرفع، بل قال : ولقد ذكر لنا أن ما بين المصراعين مسيرة أربعين عاما .

---

(١) ليست فى خ ، ق ، ك ، وما أثبتناه من هـ .
(٢) فى هـ : «حبس» ، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك .
(٣) فى خ : «رواية» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

والثانى : إن المسافة تختلف باختلاف سرعة السير، فيها وبطئه، والله أعلم .

وقوله فى خمر الجنة أنه : «ما بها صداع، ولا ندامة» : تعريض بخمر الدنيا، وما يلحقها من صداع الرأس، والندامة على ذهاب العقل، والمال، وحصول الشر الذى يوجبه زوال العقل .

والماء غير الآسن[١] : هو الذى لم يتغير بطول[٢] مكثه .

وقوله فى نساء [أهل][٣] الجنة : «غير ألا توالد» : قد اختلف الناس هل تلد نساء أهل الجنة؟ على قولين، فقالت طائفة : لا يكون فيها حبل، ولا ولادة، واحتجت هذه الطائفة بهذا الحديث، وبحديث آخر، أظنه فى المسند، وفيه : «غير أن لا مَنِىّ، ولا مَنِيَّة»[٤] .

وأثبتت طائفة من السلف الولادة فى الجنة، واحتجت بما رواه الترمذى فى جامعه من حديث أبى الصديق الناجى، عن أبى سعيد، قال : قال رسول الله ﷺ : «المؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنة كان حَمْلُه، ووَضْعه، وسنه فى ساعة كما يَشْتَهِى»، قال الترمذى : حسن غريب، ورواه ابن ماجه[٥] .

قالت الطائفة الأولى : هذا لا يدل على وقوع الولادة فى الجنة، فإنه علقه بالشرط، فقال : إذا اشتهى، ولكنه لا يشتهى، وهذا تأويل إسحاق بن راهويه، حكاه البخارى عنه، قالوا : والجنة دار جزاء على الأعمال، وهؤلاء ليسوا من أهل الجزاء، قالوا : والجنة دار خلود لا موت فيها، فلو توالد فيها أهلها على الدوام،

---

(١) فى هـ : «آسن» ، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك.

(٢) فى خ : «طول» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ.

(٣) ليست فى خ ، ق ، ك ، وما أثبتناه من هـ .

(٤) الطبرانى فى الكبير (٨ / ١١١٣) (٧٤٧٩)، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠ / ٤١٩، ٤٢٠) : «رواها كلها الطبرانى بأسانيد، ورجال بعضها وثقوا على ضعف فى بعضهم» .

(٥) الترمذى فى صفة الجنة (٢٥٦٣)، وقال : «حسن غريب»، وابن ماجه فى الزهد (٤٣٣٨)، وصححه الألبانى .

والأبد لما وسعتهم، وإنما وسعتهم الدنيا بالموت .

وأجابت الطائفة الأخرى عن ذلك كله، وقالت : أداة إذا إنما تكون لمحقق الوقوع لا المشكوك فيه، وقد صح أن الله سبحانه ينشئ للجنة خلقا يسكنهم إياها بلا عمل منهم، قالوا : وأطفال المسلمين أيضا فيها بغير عمل [منهم][1]، وأما حديث سعتها : فلو رزق كل واحد منهم عشرة آلاف من الولد، وسعتهم، فإن أدناهم من ينظر فى ملكه مسيرة ألفى عام .

وقوله : «يا رسول الله، أقصى ما نحن بالغون، ومنتهون إليه» : لا جواب لهذه المسألة؛ لأنه إن أراد أقصى مدة الدنيا، وانتهائها، فلا يعلمه إلا الله، وإن أراد : أقصى ما نحن منتهون إليه بعد دخول الجنة، والنار، فلا تعلم نفس أقصى ما ينتهى إليه من ذلك، وإن كان الانتهاء إلى نعيم، وجحيم، ولهذا لم يجبه النبى ﷺ .

وقوله فى عقد البيعة : «وزيال[2] المشرك» : أى : مفارقته، ومعاداته فلا يجاوره، ولا يواليه، كما فى الحديث الذى فى السنن : «لا تَراءَى ناراهما»[3] يعنى المسلمين والمشركين .

وقوله : «حيثما مررت بقبر كافر، فقل : أرسلنى إليك محمد» : هذا إرسال تقريع، وتوبيخ لا تبليغ أمر، ونهى، وفيه دليل على سماع أصحاب القبور كلام الأحياء، وخطابهم لهم ودليل على أن من مات مشركا، فهو فى النار وإن مات قبل البعثة؛ لأن المشركين كانوا قد غيروا الحنيفية دين إبراهيم، واستبدلوا بها الشرك، وارتكبوه، وليس معهم حجة من الله به، وقبحه والوعيد عليه بالنار لم يزل معلوما

---

(١) ليست فى خ ، ق ، ك ، وما أثبتناه من هـ .

(٢) فى ق: «زوال»، وما أثبتناه من خ ، ك ، هـ .

(٣) أبو داود فى الجهاد (٢٦٤٥)، والترمذى فى السير (١٦٠٤)، والنسائى فى القسامة (٤٧٨٠)، وصححه الألبانى .

من دين الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، وأخبار عقوبات الله لأهله متداولة بين الأمم قرنا بعد قرن .

فلله الحجة البالغة على المشركين فى كل وقت، ولو لم يكن إلا ما فطر عباده عليه من توحيد ربوبيته المستلزم لتوحيد إلهيته، وأنه يستحيل فى كل فطرة، وعقل أن يكون معه إله آخر، وإن كان سبحانه لا يعذب بمقتضى هذه الفطرة وحدها، فلم تزل دعوة الرسل إلى التوحيد فى الأرض معلومة لأهلها فالمشرك يستحق العذاب بمخالفته دعوة الرسل، والله أعلم .

فصل

فى قدوم وفد النَّخْعِ على رسول الله ﷺ

وقدم عليه وفد النخع، وهم آخر الوفود قدوما عليه فى نصف المحرم سنة إحدى عشرة، فى مائتى رجل، فنزلوا دار الأضياف، ثم جاؤوا رسول الله ﷺ مقرين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذ ابن جبل، فقال رجل منهم يقال له : زُرَارَة بن عمرو : يا رسول الله، إنى رأيت فى سفرى هذا عجبا قال : «وما رأيت؟»، قال : رأيت أتانًا تَرَكْتُها فى الحى كأنها ولدت جَدْيا أسْفَع أحْوَى، فقال له رسول الله ﷺ : «هل تركت أمَةً لك مُسِرَّة على حَمْلٍ؟» قال : نعم، قال : «فإنها قد ولدت غلاما، وهو ابنك»، قال : يا رسول الله، فما باله أسفع أحوى؟ [1] فقال : «ادن منى»، فدنا منه، فقال : «هل بك من بَرَص تكتمه؟» قال : والذى بعثك بالحق ما علم به أحد، ولا اطلع عليه غيرك .

قال : يا رسول الله، ورأيت الـ نعمان بن المنذر عليه قُرْطان مُدَمْلَجان، ومَسْكَتان [2] قال : «ذلك ملك العرب رجع إلى أحسن زيه وبهجته» .

قال : يا رسول الله، ورأيت عجوزا شَمْطاء قد خرجت من الأرض، قال : «تلك بقية الدنيا» .

قال : ورأيت نارا خرجت من الأرض فحالت بينى، وبين ابن لى، يقال له : عمرو، وهى تقول : لَظَى لَظَى، بصير، وأعمى، أطعمونى آكُلْكم أهْلَكم، ومَالَكم،

---

(١) فى النهاية لابن الأثير : «أسْفَع أحْوَى» : أى أسود ليس بشديد السواد .

(٢) المُدَمْلج : المُدْرَج الأملس، والدَّملجة : تسوية صنعة الشىء . والمَسَكة : السِّوار من الذبل، وهى قرون الأوعال . وقيل : جلود دابة بحرية .

قال رسول الله ﷺ: «تلك فتنة تكون فى آخر الزمان»، قال: يا رسول الله، وما الفتنة؟ قال: «يَقْتُلُ الناس إمامهم، ويشتجرون اشتجار أطباق الرأس» وخالف رسول الله ﷺ بين أصابعه ـ يحسب المسيء فيها أنه محسن ـ «ويكون دم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء، إن مات ابنك أدركت الفتنة، وإن مِتَّ أنت أدركها ابنك»، قال: يا رسول الله، ادع الله ألا أدركها، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم لا يدركها»، فمات وبقى ابنه، وكان ممن خلع عثمان ﷺ[1].

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٦٠، ٢٦١).